ان الاتحاد السوفياتي أيّد وساعد على قيام اسرائيل العام ١٩٤٨، وانه «لا يزال يعترف بسيادتها وحقها في الوجود، وبحق دفاعها عن مصالحها الحيوية والأمنية»، حسب ما جاء على لسان الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، خلال زياته باريس، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٥. وقد لا يكون من المشكوك فيه، هنا، ان القيادة السوفياتية جادّة تماماً حين تحرص على ربط كلامها الجديد حول شذوذ القطيعة القائمة في العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية يلازمه التأكيد ان تصحيح هذه العلاقات مرهون بمدى «التقدم على طريق تطبيع الاوضاع في الشرق الاوسط» وبتعديل السياسة التي تنتهجها اسرائيل، ولا سيما بالنسبة الى موضوع التسوية السياسية لأزمة المنطقة، حيث ان المسألة، هنا، لا تحتمل الاجتهاد بحكم تشابكها مع هواجس موسكو بشأن ضمان وزن حضورها ومشاركتها في عملية رسم مستقبل المنطقة. ومع ذلك، فان تحليل الكلام السوفياتي الجديد حول موضوع العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية سيكشف عن حقيقة جوهرية بالنسبة الى تحوّلات النظرة السوفياتية الى مشاكل المنطقة، وهي ان موسكو بدأت ترفع الكثير من تحفظاتها السابقة حول فكرة اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل، وخصوصاً لجهة المبدأ الذي بني سابقاً على تقديرات تبدو، الآن، متجاوَزة في نظر الدبلوماسية السوفياتية بخصوص احتمال تأثير عودة تلك العلاقات في واقع العلاقات السوفياتية مع الدول العربية، ولا سيما مع حلفاء موسكو التقليديين في العالم العربي.

وهكذا، فلم يكن أمر عديم الدلالة، في هذا السياق، ان يعمد الزعيم السوفياتي، غورباتشيوف، الى استباق المناقشات التي كان من المتوقع اجراؤها حول الموضوع خلال زيارة الرئيس السوري، حافظ الاسد، الى موسكو، في أواخر نيسان (ابريل) ١٩٨٧، كي يعلن، خلال الكلمة الترحيبية التي ألقاها في المناسبة: «أقولها بصراحة، ان غياب العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل ليس أمراً طبيعياً؛ ولكن اسرائيل هي المسؤولة عن قطع العلاقات الدبلوماسية، نتيجة اعتدائها على الدول العربية. وكما هو موقفنا تجاه جميع الدول، فاننا نعترف بحق اسرائيل في العيش بسلام وأمن؛ وكذلك، فان الاتحاد السوفياتي سيظل يرفض، بشدة، سياسة العنف والاحتلال التي تمارسها تل ـ أبيب».

وفي كل الاحوال، يظهر ان احد الهواجس التي تحكم نشاط الدبلوماسية السوفياتية، خلال هذه المرحلة، هو اقناع الدول العربية بأن تطوّر العلاقات بين موسكو وتل ـ أبيب لن يكون على حساب العلاقات السوفياتية ـ العربية، ولا على حساب تأييد موسكو للموقف العربي، شريطة ان تبدي الدول العربية، من جانبها، تفهّماً ملائماً لمقتضيات المرحلة الجديدة من الانفراج الدولي ووفاق الجبّارين. ومن هنا كان حماس موسكو في تأييد المبادرات السلمية التي صدرت عن الجانب العربي، لاسيما مشروع السلام العربي الذي أقرّته قمّة فاس الثانية، وتشجيع منظمة التحرير الفلسطينية على القيام بمبادرات تساهم في تسهيل مهمّة الجهود الرامية الى عقد المؤتمر الدولي للسلام، لاسيما في ما يخص موافقة المنظمة على قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، واعترافها بحق اسرائيل في الوجود، وبأن تكون لها حدود آمنة، الأمر الذي سيساعد الاتحاد السوفياتي في سعيه الى حشد «تأييد واعتراف دولي أوسع بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني»، حسب ما جاء في نص التقرير الشهير الذي نشرته وكالة «تاس» عن الزيارة التي قام بها رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى موسكو، في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٨٨.

أمّا في ما يخص موضوع فتح أبواب الهجرة لليهود السوفيات، ودون التقليل من حساسية هذه المسألة ودورها في تعقيد الحوار الراهن بين موسكو وتل ـ أبيب، فان مسار التحوّلات التي